محمد ابو عبيله
جامعة مؤتة

محمد ابو عبيله

# المعاني والرموز في أيقونغرافيا فسيفساء قلعة عجلون [1]

**ملخص البحث**

تعد قلعة عجلون أنموذجا فريدا لفن التحصين الإسلامي الذي برز في القرن ٦هـ/ ١٢م (**الشكل ١**) وقد شهد على تطورها الباحثون والدارسون ومؤرخو العصور الوسطى الذي أكدوا بدراستهم أنها تمثل نقطة تحول وعلامة بارزة الحدوث في التاريخ الإسلامي (Boase 1967: 71-72) فكانت وما زالت مثالا عربيا للعمارة الحربية الإسلامية تعكس بعمارتها تراث الأيوبيين وتقاليدهم المعمارية. ويتناول موضوع البحث أرضية فسيفسائية اكتشفت في قلعة عجلون أثناء قيام دائرة الآثار العامة عام ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م في تنظيف إحدى القاعات من الردم والأنقاض تمهيدا لإعادة تأهيل قنوات تصريف المياه وتمثل الفسيفساء المكتشفة أرضية بناء ديني عبارة عن كنيسة صغيرة أو مصلى (Chapel) ترجع للعصر البيزنطي وعند بناء القلعة عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م تعرض البناء الديني لفصل أجزاء منه ولم يبق من معالمه إلا بعض العناصر المعمارية والزخرفية. وتهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على تلك الفسيفساء، ودراستها من الناحيتين الأثرية والفنية، وكذلك التعرف على العناصر الزخرفية التي استخدمها الفنان في تلك الأرضية، وطبيعة تلك الزخارف وشكلها والتي تعكس الكثير من المعاني والدلالات والرموز في الميثولوجيا البيزنطية المرتبطة بمفاهيم دينية.

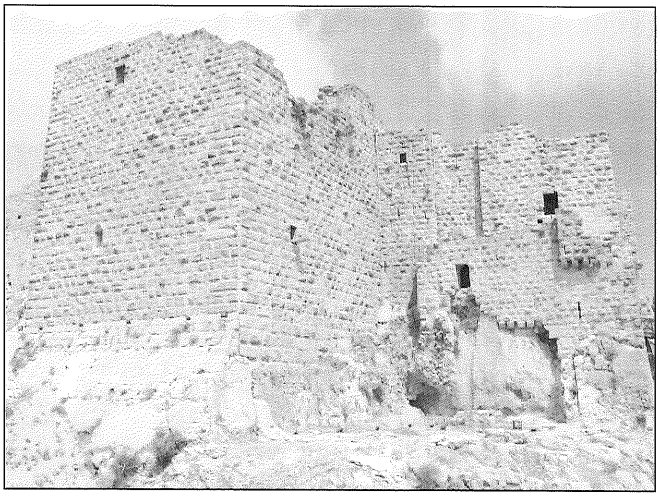

١. قلعة عجلون- منظر عام لواجهة القلعة الجنوبية.

## الموقع

يقع البناء الديني المكتشف في إحدى القاعات الرئيسة التي أنشئت ضمن المرحلة الأولى من البناء زمن عز الدين أسامه ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م (القلقشندي ١٩١٤ ج٤: ١٠٥) (ابن شداد ١٩٦٢: ٨٦) وتخطيط المرحلة الأولى من البناء مساحة مربعة المسقط محاطة بسور مرتفع وتشغل أركان المربع الخارجي أربعة أبراج ذات مسقط مربع (**الشكل ٢** الأبراج T1-T4) وزعت على الأركان بواقع برج في كل ركن تبرز عن سمت السور (أبو عبيلة ٢٠٠٥: ١٠٧) (Johns 1931: 23-29; Minnis and Bader 1988: 256-264) يتوسط ضلع المربع الشرقي مدخل رئيس (**الشكل ٣**) يكتنفه برجان دفاعيان يفضي إلى قبو معقود بعقد نصف دائري تغطي أرضية الجزء الشمالي من القبو فسيفساء ملونة كانت تزين أرضية بناء ديني يمثل كنيسة تتألف من ثلاثة أقسام، صحن الكنيسة وحاجز الهيكل والهيكل.

### ١. صحن الكنيسة (Nave)

تخطيط الصحن على شكل مستطيل طول كل من ضلعيه الشمالي والجنوبي ٤,٦٠م، وطول كل من ضلعيه الشرقي والغربي ٣,٥٤م، تزدان أرضية الصحن بمكعبات من الفسيفساء متعددة الألوان ذات زخارف متنوعة محصورة داخل إطار زخرفي يتألف من شريطين زخرفيين متوازيين من المكعبات الفسيفسائية السوداء على خلفية من المكعبات البيضاء تلتف حول أطراف المستطيل الخارجي (**الشكل ٤**). وقوام زخرفة أرضية الصحن زخارف هندسية تمثل أشكال المعينات (**الشكل ٥**) وزخرفة الصليب اليوناني تخرج من كل طرف من أطرافه الأربعة وريده ثلاثية الفصوص موضوعة باللون الأحمر على خلفية من المكعبات البيضاء ويشغل الصليب مكانة في الأرضية الفسيفسائية حيث يتقدم عتبة قدس الأقداس (**الشكل ٦**). وتعد هذه الزخرفة من

١- انظر الدراسة في اللغة الإنجليزية في مجلة كلية العلوم والفنون/ الجامعة الأمريكية بيروت.

Abu Abeileh M. New Mosaic Floor in the Castle of Ajlun (Qalat-al-Rabad). Berytus 2007 vol. L. 85-88.

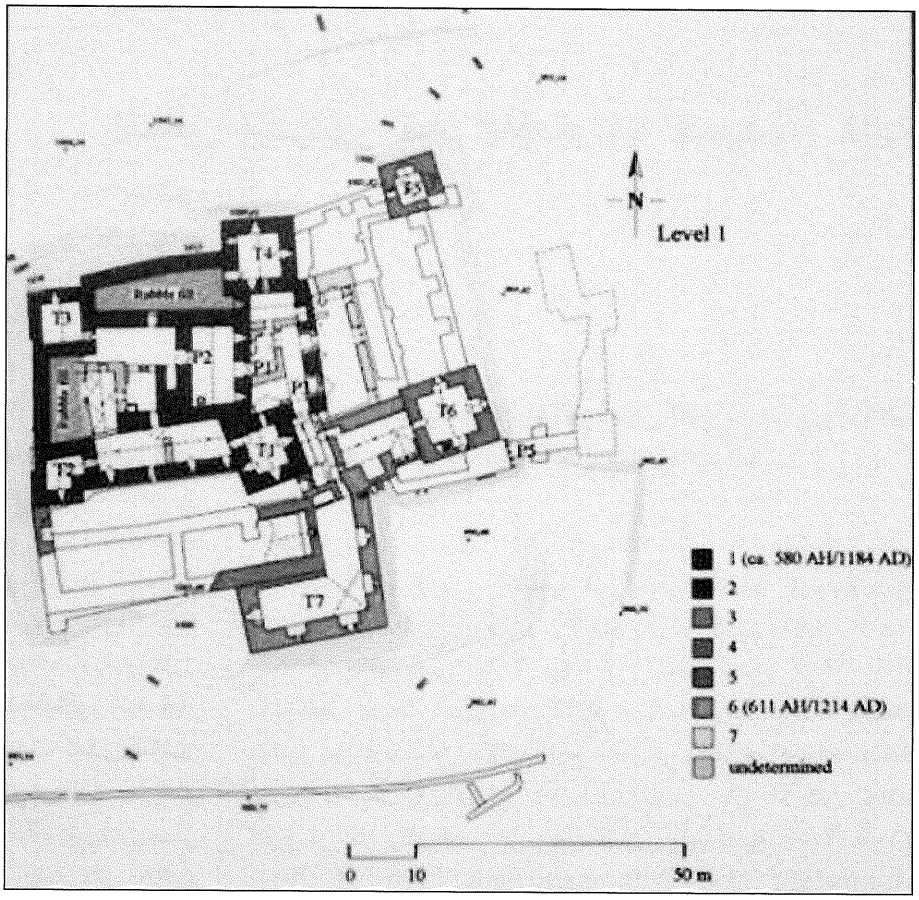


٢. قلعة عجلون- مسقط أفقي

الزخارف التي أخذت مكانتها في الفن البيزنطي ونفذت في الأرضيات الفسيفسائية تعكس معاني ودلالات في الأيقونغرافيا البيزنطية (Iconography) ذات مضامين دينية ترمز في رسمها إلى النجاة والإيمان والقبول طوعا بالمعاناة والموت والتضحية بالنفس (متى ٢٧: ٢٧- ٤٤) (مرقس ١٥: ٣٠ – ٣٢) (لوقا ٢٣: ٢٣- ٢٨) (يوحنا ١٩: ١٩- ٢٥). كما تتمركز في أرضية الصحن زخرفة رمزية تمثل خمسة دوائر متحدة المركز يصغر قطرها كلما اقتربت من المركز، قطر الدائرة الأولى ١,٤٣م فيما يبلغ قطر الدائرة الخامسة والأخيرة ٠,٢٩م (**الشكل ٧**). وعلى جانبي الدائرة الأولى زخرفة حيوانية تمثل سمكتين (**الشكل ٨**). وترمز هذه الزخرفة في الميثولوجيا البيزنطية معجزة المسيح في خبز الحياة الأبدي حينما تمكن بمعجزته إطعام ٥٠٠٠ من الجموع المحتشدة في الجليل سنة ٢٩م (يوحنا ٦: ٨- ١٤) (مرقس ٨: ٥- ١٢) (متى ١٥: ٢٢- ٢٩) (متى ١٦: ٥- ١٣) (عبد الملك وآخرون ١٨٩٤ ج٣: ٨٦٥-٨٨٨). كما تزدان أرضية الصحن بزخرفة تمثل طائر تعرض

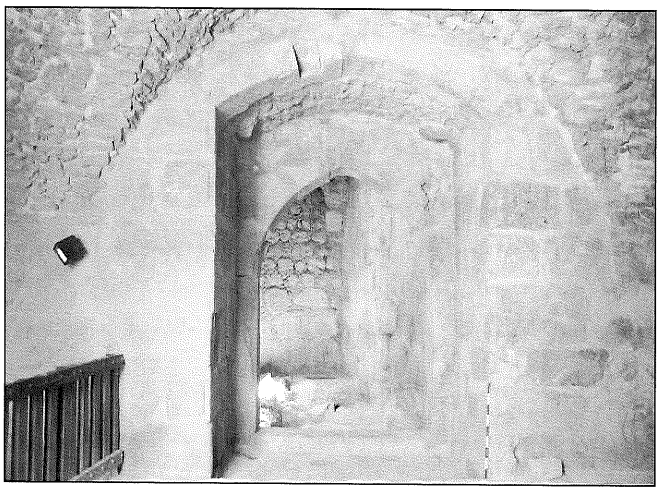

٣. قلعة عجلون- منظر عام للمدخل الرئيس في المرحلة الأولى من البناء من الداخل.

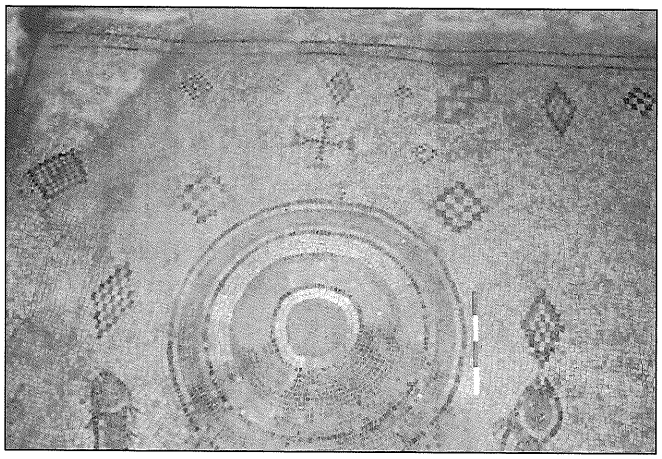

٤. قلعة عجلون- منظر عام للأرضية الفسيفسائية ويظهر الشريط الزخرفي الذي يلتف حول الأرضية والحاجز الذي يفصل منطقة الهيكل عن صحن الكنيسة.

٥. قلعة عجلون- منظر لأشكال المعينات التي تزين الأرضية.

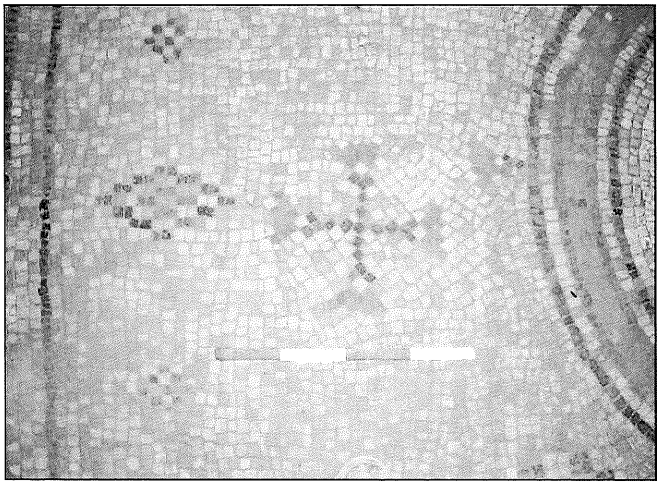

٦. قلعة عجلون- منظر لزخرفة تمثل صليب يوناني يتقدم قدس الأقداس.

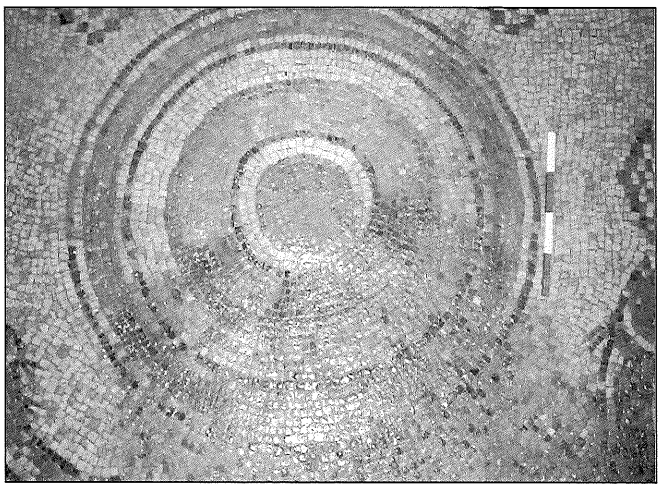

٧. قلعة عجلون- منظر لزخرفة تمثل خمسة أرغفة خبز.

للتشويه إبان أزمة الأيقونات (Iconoclastic period) التي عصفت بالإمبراطورية البيزنطية ومرت بمرحلتين الأولى من سنة ١٠٨- ١٦٤هـ/ ٧٢٦- ٧٨٠م والثانية من سنة ١٩٨- ٢٢٩هـ/ ٨١٣- ٨٤٣م

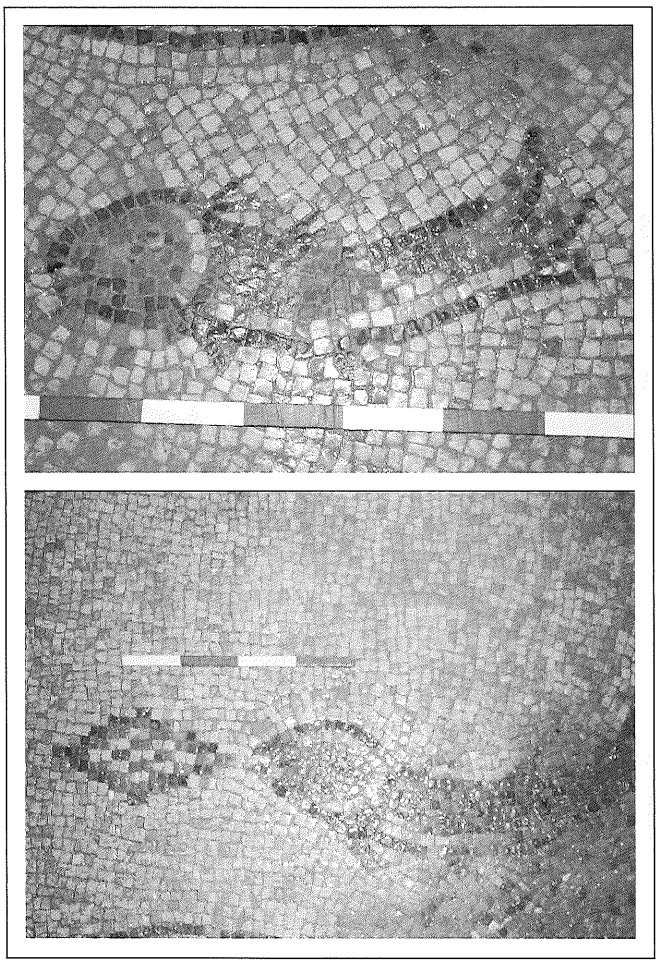

٨. قلعة عجلون- منظر لزخرفة تمثل سمكتان تحيطان بأرغفة الخبز.

(Kleinbauer 1990: 448-449) (العريني ١٩٨٢: ١٧٩).

### ٢. حاجز الهيكل (Chancel Screen)

يفصل الحاجز منطقة الهيكل عن صحن الكنيسة ويتكون من قطع من الحجارة المشذبة وضعت بشكل أفقي يتوسطها تجويف اتساعه٠,٢٠م يمتد على طول الهيكل مسافة ٣,٥٤م، وتتخلله قواعد للأعمدة على الجانبين والوسط لتثبيت حواجز رخامية بين الأعمدة ويرتفع الحاجز عن الأرضية ٠,٣٠م وبالقرب منه عثر على عمود رخامي اسطواني الشكل(**الشكل ٩**).

### ٣. الهيكل

وهو الجزء المقدس في الكنيسة ويشغل الجزء الشرقي وتخطيط الهيكل على شكل مستطيل طول كل من ضلعيه الشمالي والجنوبي ١,٠٦م، وطول كل من ضلعيه الشرقي والغربي ٣,٥٤م، ترتفع أرضيته عن أرضية الصحن مقدار ٠,٣٠م وقد تعرضت أجزاء منه للفصل عند بناء القلعة شأنه شأن بقية أجزاء الكنيسة. تزدان أرضية الصحن بمكعبات من الفسيفساء متعددة الألوان ذات زخارف متنوعة. قوام زخرفتها شكل

٩. قلعة عجلون- منظر لعمود رخامي عثر عليه في منطقة الهيكل.

هندسي عبارة عن مستطيل يتكون من ثلاثة إطارات مستقيمة متوازية موضوعة ألوانها بالتناوب أسود وأحمر وأسود على خلفية من المكعبات البيضاء طول ضلعي المستطيل ٠,٦٤ X ٠,٧٤م شغل داخله بكتابة يونانية تعني (الشماس آريانو) تتألف من أربعة أسطر كتبت بمكعبات من الفسيفساء الحمراء على خلفية من المكعبات البيضاء (**الشكل ١٠**) متوسط أطوال الحروف ٠,١٠- ٠,١٢م، ومتوسط الفاصل بين الأسطر ٠,٠٣- ٠,٠٥م. وعلى يمين الكتابة زخرفة تمثل طائر تعرض للتشويه إبان أزمة الأيقونات في العصر البيزنطي في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ولم يبق من معالمه إلا أرجله (**الشكل ١١**).

### قراءة النص(الشكل ١٠) [٢]

السطر الأول: APIA
السطر الثاني: NOY
السطر الثالث: ΔIAK
السطر الرابع: ωN

### الأعلام الواردة في النقش

آريانو(Ariano) اسم علم يوناني قديم ورد في العديد من النقوش

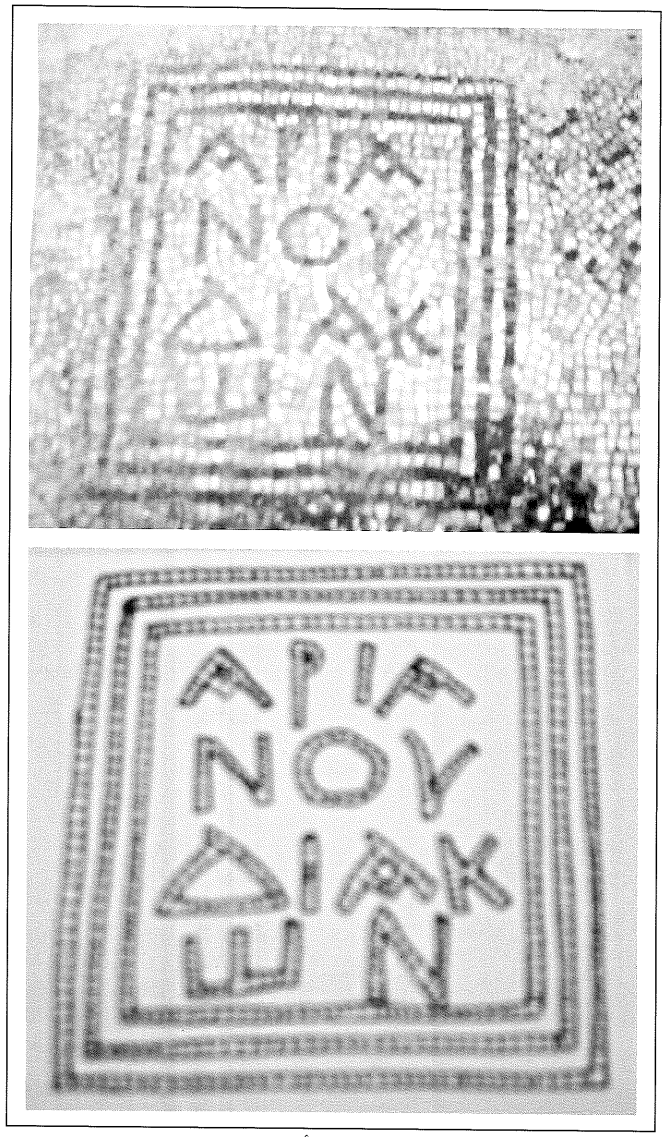

١٠. قلعة عجلون- منظر لكتابة يونانية تتوسط أرضية هيكل الكنيسة.

الكتابية في الأردن نذكر من الأمثلة الدالة على ذلك نقش مؤتة وخربة قرياطين (Canova 1954: nos. 318, 319, 292) كما عرف هذا الاسم في مواقع فلسطين نذكر من الأمثلة الدالة على ذلك موقع كفركما الذي يقع إلى الشمال الشرقي من جبل التجلي المعروف بجبل طابور (Saarisalo *et al.* 1966: no. 1). وحتى كتابة هذه السطور لا نستطيع الجزم بأن الاسم الوارد في نقش عجلون يعود إلى نفس الشخصية الواردة في النقوش أنفة الذكر.

### الألقاب والنعوت الواردة في النقش

دياكون (Diakon) الشماس: لفظ يوناني قديم جمعها دياكونوي ومعناها خادم (Meimaris 1986) . أما في اللغة العربية فكلمة

٢- أقدم خالص شكري إلى الدكتور نبيل عطا الله أستاذ النقوش في كلية الآثار في جامعة اليرموك/ إربد على مساعدته القيمة أثناء إعداد هذا البحث.

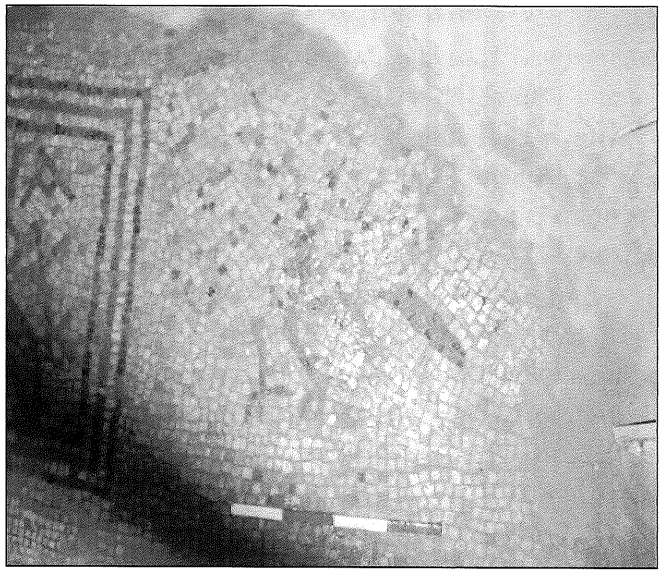

١١. قلعة عجلون- منظر لزخرفة تمثل طائر تعرض للتشويه إبان أزمة الأيقونات.

شماس تعني من يقوم بالخدمة الكنسية ومرتبته دون القسيس وجمع الكلمة شمامسة (مصطفى وآخرون ١٩٧٢ ج١: ٤٩٤) وقد عرفت هذه الوظيفة في العصور التي سبقت العصر المسيحي. أما في العصر المسيحي فقد وردت في العهد الجديد تشير إلى عدة وظائف بمعنى خادم (متى ٢٠: ٢٦) (متى ٢٣: ١١). وخدمة الشماس خدمة روحية تظهر في إنجيل (تيموتاوس الأول ٣: ٨-١٣). ومن وظائفه أن يشهد للمسيح بالوعظ ومن الشمامسة الواعظين في التاريخ المسيحي نذكر استفانوس (أول شهداء المسيحية) وفيلبس (أحد الرسل الإثني عشر) وفي كنيسة فيلبي هنالك عدد ليس بقليل من الشمامسة يشاركون الأساقفة في خدمة الرب. كما ظهر في التاريخ المسيحي الشماسات وهن من السيدات كان عملهن عمل الشمامسة من الرجال. وهذه الخدمة تعود إلى العصر المبكر في الكنيسة الرسولية وأصبحت هذه الوظيفة من الرتب الكنسية (رؤيا ١٦: ١) ويسجل المؤرخ الروماني بليني في رسائله إلى الإمبراطور تراجان سنة ١٠٠ ميلادي عن خدمة الشمامسة في كنيسة بيثينه (عبد الملك وآخرون ١٨٩٤ ج٢: ٥١٩). وقد وردت لفظة الشماس في العديد من النقوش في الأردن نذكر من الأمثلة الدالة على ذلك نقش في أدر/ محافظة الكرك (Canova 1954: no. 208) وجرش (Supplementum 1934: no. 872).

ونقوش كتابية في كنيسة اسطفان في أم الرصاص ورد فيه اسم الشماس اسطفان (Piccirillo and Attiyat 1986: 341-351). كما ورد اسم لكسوس الشماس الكبير الحبيب إلى الله في كتابة في نفس الكنيسة وكتابة أخرى ذكر فيها الشماس قرياكوس (بيتشيريلو ١٩٩٣: ٢٩٠- ٢٩٣). كما وردت كلمة شماس في كنيسة شونة نمرين في الشونة الجنوبية وكتابة أخرى في نفس الكنيسة ورد فيها اسم تشانيسون شماس الكنيسة (Piccirillo 1982: 332-339). كما وردت لفظة الشماس في العديد من النقوش الكتابية في مادبا (Lux 1969: 401, 402) (Gatier 1986: no. 143) وغيرها من النقوش في المنطقة.

## الخاتمة والنتائج

من خلال ما تقدم ذكره فإن الأرضية الفسيفسائية المكتشفة في قلعة عجلون تؤكد ما جاء في المصادر التاريخية بأن قلعة عجلون صغيرة المقدار أقيمت على أنقاض دير يسكنه راهب (العمري ١٩٨٦: ١٨٨) (القلقشندي ١٩١٤ ج٤: ١٠٥- ١٠٦) (ابن شداد ١٩٦٢: ٨٦- ٨٧). وهنا يظهر للباحث في فنون العمارة الإسلامية عن مدى التسامح الديني عند المسلمين فالمعماري الذي شيد قلعة عجلون أبقى هذه الفسيفساء بما تمثله من معان ورموز على حالها وشيد منشأته العسكرية لتلبي الوظائف الإنشائية التي أنشئت من أجلها. ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك العديد من النقوش اليونانية واللاتينية التي اكتشفت في قلعة عجلون ومن هذه النقوش نقش عثر عليه بين الأنقاض بالطابق العلوي من القلعة محفوظ في متحف آثار عجلون تحت سجل رقم (AJ 82) تمكن الباحث ميتمان (Mittmann) من قراءة بعض كلماته التي تشير بأن شخصا اسمه مالكوس قد أسس بناءا ولم يستطع الباحث قراءة باقي النقش لوجود بعض الأجزاء من النقش مفقودة (Mittmann 1970: 182) (أبو عبيلة ١٩٩٨: ١١- ١٣). وهناك نقش يوناني آخر على لوح حجري يتوج إحدى مزاغل السهام في الطابق العلوي من القلعة شغل داخله بكتابة يونانية (Atallah and Abu Abeileh 1999: 119).

## المراجع العربية


**الكتاب المقدس**

ابن شداد

١٩٦٢ **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تاريخ لبنان والأردن وفلسطين.** دمشق.

العمري

١٩٨٦ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دولة المماليك الأولى**، ط١. دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي. المركز الإسلامي للبحوث: مصر.

القلقشندي

١٩١٤ **صبح الأعشى في صناعة الأنشأ** (جزء ٤). وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطابع كوستا توماس وشركاه: مصر.

أبو عبيلة، محمد

١٩٩٨ **أنظمة التحصين والدفاع في العمارة العسكرية الإسلامية في القرن الثاني عشر الميلادي (عجلون، الكرك والشوبك) دراسة معمارية.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك: الأردن.

٢٠٠٥ **العمارة الأيوبية والمملوكية في محافظة عجلون بالأردن دراسة أثرية.** رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الملك سعود: المملكة العربية السعودية.

العريني، السيد الباز

١٩٨٢ **الدولة البيزنطية ٣٢٣- ١٠٥١م.** بيروت.

بيتشيريلو، ميشيل
١٩٩٣ **مادبا كنائس وفسيفساء**. مطبعة الأباء الفرنسيسكان: القدس.
عبد الملك، بطرس وآخرون
١٨٩٤ **قاموس الكتاب المقدس** (٣ أجزاء). دار الثقافة: بيروت.
مصطفى، إبراهيم وآخرون
١٩٧٢ **المعجم الوسيط**، ط٢. المكتبة الإسلامية للطبع والنشر والتوزيع (ج١): استانبول.

## Bibliography

Atallah, N., Abu Abeileh, M. 1999. New Greek Inscription from 'Ajlun Castle, Jordan. *Berytus* 44: 119-122.

Boase, T.S.R. 1967. *Castles and Churches of the Crusading Kingdom*. London: Oxford University Press.

Canova, R. 1954. *Iscrizioni e Monumenti Protocristiani del Paesedi Moab*. Rome.

Gatier, P.L. 1986. *IGLA*. Inscription no. 143.

Johns, C.N. 1931. Medieval Ajlun the castle (Qalat Al-Rabad). *QDAP I*: 23-31.

Kleinbauer, W.E. 1990. *Icon. Encyclopedia of Early Christianity Gartarnd.* publishing New York and London.

Lux, U. 1969. *RB* 6: 401- 402.

Meimaris, Y.E. 1986. Sacred Names, Saints, Martyrs and Church Officials in the Greek inscription and Papyri Pertaining to the Christian Church of Palestine. Athens: National Hellenic Research Foundation, centre for Greek and Roman antiquity.

Mennis, D., Bader, Y. 1988. A Comparative Analysis of Belvoir (Kawkab al-Hawa) and Qal'at al-Rabad('Ajlun Castle). *ADAJ* 32: 256-264.

Mittman, S. 1970. *Beitrage zur Siedlungs- und Territorialgeschichte des nőrdlichen Ostjordanlandes*. Wiesbaden: Harrassowitz.

Piccirillo, M. 1982. A Church at Shunat Nimrin. *ADAJ* 26: 335-342.

Piccirillo, M., Attiyat, T. 1986. The Complex of St. Stephen at Umm er- Rasas- Kastron Mefaa. First Compaign August. *ADAJ*: 341-351.

Saarisalo, A., Palva, H. 1966. *Studia Orientalia. Societas Orientalis*. Fennica XXX1: inscription no. 1.

Supplementum. 1934. *Epigraphicum Graecum* VII: Inscription no. 2.